(٩١) أبو العباس النهاوندي[١]

ذكر الشيخ أبي العباس النهاوندي رحمه الله:

كان رحمه الله أوحدَ زمانه، وفريدَ عهده، وله في التمكين قدمٌ راسخ، وفي الورع والمعرفة شأنٌ عظيم.

ونقل عنه أنه قال: أخذني في الابتداء همٌّ هذا الحديث ـ أي حديث المحبة ـ فاشتغلتُ بالمراقبة، وبقيت اثنتي عشرة سنة ما كنتُ أُخرجُ رأسي من جيبي إلاّ للصلاة، ففتح على قلبي باب.

ونقل عنه أنّه جرى على لسانه أنَّ الخلقَ يتمنَّون أن يكونَ الحقُّ لهم ساعةً، وأنا أتمنَّى أن يدعني ساعةً، لأنّي أَحترقُ من الحياءِ؛ إذ مَنْ أنا حتى أكون في هذه المرتبة؟.

ونقل أنّه جاءَ إليه فقيرٌ، والتمسَ منه دعاءً، فقال: اللهم موّته.

أقول: يشيرُ إلى أنَّ الدُّعاءَ لو كان مقبولاً، لكان مقبولاً في التمويت أيضًا، وإذ لم يكن، فلم يكن، وهذا غايةُ التواضع والاعتراف بالعجز. [والله أعلم].

ونقل أنه كان يخيط الكمَّ، ويبيع كلاًّ بدرهمين لا أزيد ولا أنقص، ثم كان يُعطي دِرهمًا منهما لأول شخصٍ يأتي إليه إلاّ الصلحاء[٢]، ويشتري بالدِّرهم الآخر الخبزَ ويأكُلُه مع الفقراء في الخانقاه، ثم بعده يشتغلُ بكمٍّ آخرَ.

نقل أنّه كان له صديقٌ جاءَ في بعض الأيام إلى الشيخ، وقال: عليَّ زكاةٌ، ماذا تقولُ فيمن أصرفُها؟ قال الشيخ: اصرفْها فيمن يقبلُهُ قلبُك. فشرع يدورُ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الفضل، وترجمته في: حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٠ مجمل فصيحي ٢/ ٥٤ (وذكر أنه توفي سنة ٣٣١هـ)، نفحات الأنس ٢٢٠.

(٢) كذا في الأصل، ولعلّها: من الصلحاء.

على الناس حتى صادفَ رجلاً أعمىً جالسًا على الطريق يتكدّى، فأخرجَ شيئًا من الذهب، وأعطاه، واعتقادُهُ أنّه من المستحقِّين، ثم اتّفقَ له أن رآه في اليوم الثاني في ذلك الموضع مع أعمىً آخرَ [يقول]: أمس أعطاني منّا تاجرٌ شيئًا من الذهب، وأنا دخلتُ حانوتَ الخمّار بالليل، وصرفتُهُ في الخمر. فانزعجَ الرجلُ في هذا الكلام، وجاء إلى الشيخ يحدّثه، فلمّا رآه الشيخُ، أعطاه دِرهمًا من كسبه قبل أن يُحدّثَهُ، وقال: أعطه أول شخصٍ تصادفُهُ. فأخذه ورجعَ، فالتقى علويًا، فناوله الدِّرهم، فأخذه العلويُّ وسار، وذهب الرجلُ وراءه مفتِّشًا عن أحواله، فرآه دخلَ في خَرَبةٍ، وأخذ عجلةً ميتةً، ورماها إلى الخارج، فقال له التاجر، وأقسم عليه: أن أخبر عن حقيقة هذا الأمر. فقال العلوي: غلبَ عليَّ وعلى أهلي وعيالي الجوعُ إلى حدٍّ فني معه الصبرُ والطاقة لأنّا ما ذقنا الطعامَ، ولا شممنا رائحته منذ سبعةِ أيام، وكان يصعبُ عليَّ ذلُّ السؤال، فوجدتُ هذه الجيفة في هذه الخربة، أَردتُ أن أذهبَ بها إلى عيالي بحكم الاضطرار، إذ لم يكن للعيال صبرٌ فوق ذلك، وكنتُ أقول: إلهي، أنت تعلمُ ذُلِّي وحالي وفقري وفاقتي واضطراري، وأستحيي أن أسألَ الناسَ، فحين أَعطيتني الدِّرهمَ استغنيت به اليوم، فرميتُ الجيفةَ، عسى أن يأخذَها أجوعُ منّي، فالآن أَمشي لأشتري به قوتًا للعيال. قال الرجلُ: فتعجَّبتُ من الحال، ورجعتُ إلى الشيخ، فقال: لا حاجةَ لي إلى حديثك عن الحال، ولكن لمّا كانت معاملتُكَ مع الظلمة، فلا جرمَ أنّه صارت صدقتُكَ مصروفةً على يد الأعمى في الخمر، ودرهمي قد كسبتُهُ من الوجه الحلال، فلذا صارَ نصيبًا للعلويِّ المستحقِّ، وأصاب محلَّه.

نقل أنه سمعَ نصرانيٌّ من الروم أنَّ في المسلمين ناسًا أصحابَ فِراسة وكرامةٍ، فخرجَ من الروم على قصد الامتحان، ولبس مرقعةً، وأخذ عصاةً على صورة المتصوّفة، ودخل خانقاه الشيخ أبي العباس القصاب[1] رحمه الله، فقال له الشيخ: أنتَ رجلٌ أَجنبيٌّ، فماذا تعملُ في مكان أهل العرفان؟ فرجع

(١) الأصل: أبي العباس رحمه الله القصاب.

النصرانيّ وتوجَّه إلى أبي العباس النهاوندي، ونزلَ إليه في الخانقاه، لكنَّ الشيخَ رحمه الله لم يتعرَّضْ له، وهو وقفَ هناك، وكان يتوضَّأ معهم، ويأتي بصورةِ الصلاة، وهكذا إلى أربعة أشهر، ثم أرادَ يومًا أن يسافرَ، فأخذَ متاعَهُ وقصدَ الخروجَ، فطلبه الشيخُ، وقال: يا فلان، ليس من الفتوّة أن يزورنا أجنبيٌّ، ويسافر، وأنت أجنبيٌّ باقٍ على أَجنبيَّتِكَ مستمرٌّ لها. فشرحَ اللهُ تعالى بنورِ الهداية صدرَهُ، فأسلمَ في الحال، وقطعَ زنَّارَ الشرك، وأقام هناك إلى وفاة الشيخ، وبعد وفاته، أُقيم مقامه.

رحمهم الله رحمةَ الأبرار، وحشرَهم وإيَّانا في زمرة السعداء الأخيار، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله الطيبين أجمعين.

* * *